وقوله تعالى ليقولن الله اي المسمى بهذا الاسم حذف منه نون الرفع لتوالي
الامثال وواو الضمير لالتقاء الساكنين فعله اقروا بان كل ما اشركوا به
من خلقه ومصنوع من مصنوعاته وبما بين بذلك صدقه صلى الله عليه
وسلم وكذبهم قاله الله تعالى مستانفا قل الحمد اي الاحاطة بجميع اوصاف
الكمال لله اي الذي له الاحاطة الشاملة من غير تقييد بخلق الخلائق ولا
غيره على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد بل اكثرهم لا يعلمون اي ليس لهم
علم يمنعهم من تكذيبهم مع اعترافهم بما يوجب تصديقك وكما اثبت لنفسه
سبحانه الاحاطة باوصاف الكمال استدل على ذلك بقوله تعالى لله اي
الملك الاعظم ما في السموات كلها والارض كذلك ملكا وخلقا فلا يستحق
العبادة فيهما غيره وكما يثبت ذلك انتج قطعا قوله تعالى ان الله اي
الذي لا كفو له هو اي وحده الغني مطلقا لان جميع الاشياء محتاجة
اليه وليس محتاجا الى شي اصلا الحميد اي المستحق لجميع المحامد لانه المنعم
على الاطلاق المحمود بكل لسان من السنة الاحوال والاقوال لانه
هو الذي انطقها ومن قيده اخرس ناطقها ولما قال تعالى لله ما
في السموات والارض اوهم تناهي ملكه لانحصار ما في السموات والارض
فيهما وحكم العقل الصريح بتناهيهما بين تعالى انه لا يتعدى ولا ينضبط
لمعلوماته ومقدوراته الموجبة لحمده بقوله تعالى ولو ان ما في
الارض اي كلها ودل على الاستغراق وتقصي كل فرد فرد من
الجنس بقوله تعالى من شجرة حيث وحدها اقلام اي بريت الشجرة
عددها من تعددها على سبيل المبالغة سبع بحرات وان ما في
الارض من البحر مداد لتلك الاقلام والبحر اي والحال ان البحر
يمده اي يكون مدادا ومادة كلية من بعده اي من ورائه
سبعة ابحر مكتوب بتلك الاقلام وذلك المداد الذي الارض
كلها

كلها له دواة ما نفدت كلمات الله وفنيت الاقلام والمداد قال المفسرون
نزلت بمكة قوله تعالى ويسالونك عن الروح الى قوله وما اوتيتم من
العلم الا قليلا أفعنيتنا ام قومك فقال صلى الله عليه وسلم كلا قد عنيت
فقالوا الست تتلو فيما جاءك انا اوتينا التوراة وفيها علم كل شي فقال صلى الله
عليه وسلم هي في علم الله تعالى قليل وقد اتاكم ما ان عملتم به انتفعتم
قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فانزل الله تعالى هذه الاية
وقال قتادة ان المشركين قالوا ان القران وما ياتي به محمد يوشك
ان ينفد فينقطع فنزلت فان قيل كان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان
الشجر اقلام والبحر مداد حسبما اغنى عن ذكر المداد قوله تعالى يمده
لانه من مد الدواة وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل
الابحر السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع
والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت
بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلماته ونفدت
الاقلام والمداد كقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد
البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لان المحصور لا يفي بما ليس بمحصور
فيالها من عظمة لا تتناهى ومن كبرياء لا تجارى ولا تضاهى فان
قيل لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس اجيب بانه
اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر
ولا واحدة الا وقد بريت اقلاما فان قيل الكلمات جمع قلة والموضع
موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله اجيب بان معناه
ان كلماته لا تفي بها البحار فكيف بكلمه وقرا ابو عمرو والبحر بنصب
الراء وذلك من وجهين احدهما العطف على اسم ان اي ولو ان البحر

Copyright © King Saud University